مسألة أصول

تساعد كثيراً معرفة كيف بدأ تأثير البروتستانتية على السياسة الخارجية الأمريكية فى فهم الدور التاريخى الذى يلعبه الدين فى الحياة العامة فى البلاد؛ فالتراث الدينى الأمريكى الذى خرج من حركة الإصلاح فى إنجلترا وإسكتلندا فى القرن السادس عشر.. تضمن العديد من الأيديولوچيات والأفكار الدولية عبر الزمن. وهناك ثلاثة عناصر بالغة التأثير: تراث متشدد وصارم ويمكن اعتبار أنه «أصولى»، وتراث أخلاقى تقدمى معروف باسم «الليبرالية المسيحية»، ثم تراث إيڤانجليكى.

البينتيكوستال(*) لهم اختلافات عقائدية مع غير البينتيكوستال من الإيڤانجليكيين، والأصوليين، لكن البينتيكوستال أحد فروع اللاهوت

(*) «البينتيكوستال ـ Pentecostal» طائفة بروتستانتية ظهرت فى الولايات المتحدة فى أوائل القرن العشرين، تحتفل بنزول الروح القدس على حواريى المسيح بعد خمسين يومًا من قيامته، وتعتبر التجربة الروحية بنزول الروح القدس على المؤمن بمثابة تعميد روحى له، يجعله ينطلق مبشراً بالإنجيل، وتسمى هذه التجربة الروحية التجربة البينتيكوستية، أو المباركة البينتيكوستية. ومن علامات نجاحها التكلم بألسنة، أى بلغات بدون تعلمها مسبقًا، وهم بهذا يستندون إلى آيات من العهد الجديد، أعمال الرسل، الإصحاح الثانى: «ولما جاء اليوم الخمسون، كان الإخوة مجتمعين معًا فى مكان واحد، وفجأة حدث صوت من السماء كأنه دوى ريح عاصفة، فملأ البيت الذى كانوا جالسين=

الإيڤانجليكى . . ومن ثم يمكن حساب البينتيكوستال الأمريكيين على الإيڤانجليكية .

من الخطأ البحث عن تماثل أو تطابق داخل هذه التعريفات ، فمعظم المسيحيين الأمريكيين يخلطون بين الأفكار اللاهوتية والاجتماعية من هذه المصادر وبين غيرها داخل البروتستانتية والمسيحية ، دون الاهتمام بمسألة انسجام الأفكار . وبرغم ذلك ، فإن توصيف الملامح الأساسية لكل من هذه الطوائف وتشعباتها يجعل من السهل تفهم الأسلوب الذى يشكِّل التوازن الدينى به سلوك هذا البلد .

الأصوليون ، والمسيحيون الليبراليون ، والإيڤانجليكيون ، ما هم إلا جزء من التيار التاريخى للبروتستانتية الأمريكية . وقد تأثروا جميعًا بالجدلية التى قامت بين الأصولية والحداثة فى مطلع القرن العشرين . وقد اقتنع البروتستانت فى معظم سنوات القرن التاسع عشر بأن العلم يؤكد تعاليم الكتاب المقدس . ولكن عندما بدأ علم الأحياء الداروينى(*) ، وعندما بدأ نقاد الكتاب المقدس بإلقاء مزيد من الشك حول الآراء

=فيه ، ثم ظهرت لهم ألسنة كأنها من نار ، وقد توزعت وحلت على كل واحد منهم ، فامتلؤوا جميعًا من الروح القدس وأخذوا يتكلمون بلغات أخرى ، مثلما منحهم الروح أن ينطقوا» ١ ـ ٤ . انتشرت طائفة البينتيكوستال فى العالم فى القرن العشرين ، خصوصًا فى أمريكا الجنوبية .

(*) يقصد المؤلف نظرية النشوء والارتقاء لداروين ، والتى يراها الحرفيون والأصوليون مخالفة لقصة الخلق كما جاءت فى سفر التكوين من الكتاب المقدس ، ولهذا ترفض نسبة معتبرة من المدارس الأمريكية تعليم نظرية داروين ، ومنها من يشترط تدريسها على التوازى مع نظرية الخلق كما جاءت فى العهد القديم ـ المترجم .

التقليدية عن عصمة الكتاب المقدس وكاتبيه . . بدأ تفكك الحركة البروتستانتية الأمريكية . لذلك أكد المحدَثون بأن أفضل طريقة للدفاع عن المسيحية فى عصر التنوير تتأتى بدمج العلم الحديث مع اللاهوت . فاتبعت الطوائف البروتستانتية الرئيسية هذا النهج ، بينما اقتنع الأصوليون بأن تبقى الكنائس على ولائها لأصول العقيدة البروتستانتية . . مثل التفسير الحرفى للكتاب المقدس وعصمته .

انقسم الأصوليون أنفسهم إلى شعبتين يمكن التمييز بينهما بالثقافة والمزاج ، وباللاهوت . وقد أكد الانفصاليون أن على المؤمنين ـ بحق ـ هجر الكنائس التى تسامحت مع الحداثة . . أو التى سعت إلى حل وسط معها ، وكلما أصبح المجتمع الأمريكى وثقافته أكثر عَلْمانية وتعددية ، تزايد انسحاب الأصوليين من عالم السياسة والثقافة ، فى الوقت الذى اتجهت فيه الشعبة الأخرى فى الأصولية الأساسية إلى مواصلة الارتباط بباقى دول العالم . وقد أطلق على هذه الطائفة اسم «الإيڤانجليكية الجديدة» . احتفظ الانفصاليون بلافتة «الأصولية» بكل فخر ، بينما أسقط «الإيڤانجليكيون الجدد» عبارة «الجدد» هذه . . وباتوا يُعرفون اليوم باسم «الإيڤانجليكيون» فقط !

تقدم التيارات الثلاثة للبروتستانتية الأمريكية المعاصرة ، وهى : (الأصولية والليبرالية والإيڤانجليكية) أفكارًا مختلفة حول ما يجب أن يكون عليه دور الدولة فى العالم الخارجى . وفى هذا الإطار ، تتمركز هذه الاختلافات حول درجة تفاؤل كل منها بإمكانية قيام نظام عالمى مستقر ومسالم ومستنير ، مع الاحتفاظ بالقدرة على تحديد الفرق بين

المؤمنين وغير المؤمنين. يشعر الأصوليون بالتشاؤم من مستقبل النظام العالمى.. ويرون فجوة بين المؤمنين وغير المؤمنين. فى الوقت الذى يشعر فيه الليبراليون بالتفاؤل نحو ما يتوقعون من النظام العالمى.. وإن كانوا يرون اختلافات بسيطة بين المسيحيين وغير المؤمنين، أما الإيڤانجليكيون.. فإنهم يقفون فى موقع ما بين هذين الطرفين.

الذين أطلقوا على أنفسهم مصطلح «الأصوليون»، هم جماعة متنوعة الأفكار، ومن الأسباب الجزئية لذلك، عدم الإجماع على تعريف مصطلح «الأصوليون»، خاصة مع التعددية الكبيرة، واللامركزية، فى البروتستانتية الأمريكية. فليس هناك مرجعية عامة مقبولة تعرّف المصطلح، وبماذا يؤمن الأصوليون. وهنا فى هذا المقال، نقصد بالأصولى أى شخص يتوفر فيه ثلاث سمات رئيسية: أن يجعل للكتاب المقدس مرتبة عالية من حيث الصحة المطلقة، ومن ثم المرجعية والإلهام - التصميم القوى على الدفاع عن الإيمان البروتستانتى ضد الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، والحداثة والعلمانية والنفوذ غير المسيحى - والاقتناع بأن على المؤمنين فصل أنفسهم عن العالم غير المسيحى.

يمكن أن نجد الأصوليين بين البروتستانت المحافظين، ولدى بعض الطوائف التى تعتبر إيڤانجليكية، مثل «المعمدانيين الجنوبيين ومجلس السنودس اللوثرى فى ميسورى»؛ حيث توجد هناك أقليات أصولية عالية الصوت. تبدو الطوائف الأصولية، مثل الكنيسة الكالڤينية المشيخية المغالية، أصغر من طوائف الليبراليين أو الإيڤانجليكيين. وربما يرجع هذا إلى تفضيل الأصوليين للتنظيمات الأصغر والأطهر ذات العقيدة الصارمة

على التنظيمات الكبيرة المتباينة. كما أن العديد من الجماعات الأصولية تفضل البقاء مستقلة عن أى بنية طائفية أخرى.

يعتقد كثير من الأجانب أن الأصولية حركة عاطفية مضادة للثقافة. وهذا فيه قدر من الصحة، فمعظم البروتستانت الأمريكيين المحافظين يولون أهمية كبيرة للتجربة العاطفية والروحانية. الفارق بين الأصوليين والإيڤانجليكيين لا يكمن فى مقدار ما يكنه الأصوليون من عاطفة تجاه معتقداتهم، وإنما يكمن فى أن الأصوليين يحرصون بشدة على الالتزام والسعى وراء أفكارهم حسب استنتاجاتهم المنطقية. كما يحرص الأصوليون أكثر من الإيڤانجليكيين على تطوير رؤية مسيحية عالمية واعتناقها، ثم يعملون بشكل منظم على تطبيقها فى العالم، ويُجمعون على قول واحد يرفض - وكذلك يفعل كثير من الإيڤانجليكيين - نظرية «النشوء والارتقاء» لداروين؛ لأن التجربة الشخصية تؤدى إلى اعتقاد الإنسان بأن الكتاب المقدس مرشد معصوم من الخطأ.

المعاهد الأصولية أماكن للدراسة الجادة وليست مرتعًا للقس الإحيائى هولى رولرز لترويض الثعابين

أمر آخر، هو تطوير رؤية علمية بديلة من الكتاب المقدس لقصة الخلق - وهذا ما يفعله بعض الأصوليين - ومن ثم وضع كتاب منهجى، ثم إلزام المدارس بتدريس هذا الكتاب، أو يتم سحب التلاميذ من المدارس التى لا تقوم بتدريسه. إن المؤسسات ذات السطوة الأصولية، مثل الحركة المعمدانية المستقلة وجامعة بوب چونز ليست

مرتعًا لترويض ثعابين قسس الإحياء؛ لكنها أماكن للدراسة الجادة، غير التقليدية.

بعد مجموعة متلاحقة من الهزائم الفكرية والسياسية فى العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضى، آثر الأصوليون التراجع إلى عزلة وتشاؤم كانا غريبين على التوجه المتفائل للبروتستانتية الأمريكية فى القرن التاسع عشر. وكان من نتيجة هذا التراجع، منح الأصوليين وجهة نظر دفاعية ومنعزلة مشابهة تمامًا للبيوريتانية (التطهرية الكالفينية) فى نيو إنجلاند قديمًا. يؤمن كثير من الأصوليين - مثل البيوريتانز - بالرأى الصريح القائل بوجود فجوة كبيرة بين الأرواح القليلة التى اختارها الرب للخلاص، وتلك الأرواح الكثيرة التى كُتب عليها الاستقرار فى الجحيم. لقد سعى الكالفينيون ذات مرة لتكوين كومنولث ثيوقراطى (لاهوتى) بين «المعاهدون» وحزب «كيرك» فى إسكتلندا فى عهد حكم أوليفر كروموبل لإنجلترا، وفى نيو إنجلاند الأمريكية فى القرن السابع عشر. ولكن فى القرون الثلاث الماضية، أصبح بناء دولة ثيوقراطية أقل جاذبية وإمكانية للنهج الأصولى المتشدد. لم تكن التغييرات الديموجرافية وحدها هى التى جعلت من الصعب على الأصوليين تحقيق أغلبية، فقد أوضحت تجارب الكومنولث القديمة أن الأجيال المتعاقبة افتقرت إلى حماسة المؤسسين السابقين وتألقهم، وما يدعو للحزن ولمزيد من الحكمة بين صفوف الأصوليين الأمريكيين، أن تلك التجارب جعلتهم يعتقدون - بصفة عامة - أن سعى الإنسان لبناء عالم أفضل مكتوب له القليل جدًا من النجاح. ويتفقون مع الداعية الأمريكى «دوايت مودى»

فى القرن التاسع عشر، الذى قال فى حديثه عن الحراك السياسى «إننى أنظر إلى هذا العالم.. كسفينة غارقة، وقد وهبنى الرب قارب نجاة. وقال لى: مودى، عليك إنقاذ كل من تستطيع!!».

فإن كان الأصوليون يميلون للتشاؤم من احتمالات إنجاز إصلاح اجتماعى داخل الولايات المتحدة، فهم ضد فكرة نظام عالمى قائم على أخلاقيات علمانية، وعلى مؤسسات دولية مثل الأمم المتحدة. والأصوليون هم أكثر الأمريكيين علمًا واهتمامًا بقصص الاضطهاد الذى يتعرض له المسيحيون فى الخارج، ولا يرى الأصوليون أى جدوى أخلاقية فى التعاون مع حكومات تضطهد الكنائس وتمنع التحول إلى المسيحية، وتعاقب المهتدين إليها بموجب «القوانين الإسلامية»(*). وبالنسبة للمؤسسات الدولية مثل الأمم المتحدة، والتى تتعامل مع هذه الحكومات على أنها «شرعية»، فإنها تطبق ما قاله النبى أشعيا «لقد تعاهدنا مع الموت.. وعقدنا اتفاقًا مع الجحيم». وليس على سبيل المصادفة أن روايات «المتروكون خلفًا ـ Left Behind»(**) والتى تصف نهاية العالم من منظور أصولى قد أوضحت كيفية صعود أعداء المسيح إلى السلطة، مثل الأمين العام للأمم المتحدة.

وأخيرًا، يلتزم الأصوليون برؤية سفر الرؤيا فيما يخص نهاية العالم.. ويوم الحساب. ومثلهم مثل من يأخذون الكتاب المقدس

(*) هكذا النص الأصلى ـ المترجم.

(**) سلسلة كتب روائية، كتب أصولها القس تيم لاهاى وحولها لروايات الكاتب چيرى چينكينز، وبيع منها ٦٠ مليون نسخة ـ المترجم.

حرفيًا، فإنهم يرون أن النبوءات المظلمة، كما جاءت فى العهد القديم وفى سفر«رؤيا يوحنا» فى العهد الجديد، تتنبأ بالأحداث المرعبة التى سيسدل عندها ستار تاريخ البشرية. . وعندئذ سيقوم الشيطان وأتباعه من بنى الإنسان بالثورة الأخيرة ضد الرب و«المختار»، وسوف يلاقى «المؤمنون» اضطهادًا رهيبًا، لكن المسيح سوف يسحق أعداءه ويبسط حكمه على سموات جديدة وأرض جديدة. وطبعًا لا تتفق هذه الرؤيا مع فكرة التقدم التدريجى نحو يوتوبيا علمانية يقودها التقدم التكنولوجى بالتعاون مع المثقفين من كل الديانات.

* * *